الاختيارات الأساسية لحزب الطليعة في تماسكها وترابطها الجدلي

عبد الغني بوستة السرايري

مدخـــل

شكل 8 ماي 1983 منعرجا حاسما في تاريخ حزب الطليعة (الاتحاد سابقا)، لأنه توج الصراع الإيديولوجي والسياسي مع اليمين الحزبي بحسم تنظيمي، عموديا وأفقيا، وجسد القطيعة التنظيمية النهائية التي لا رجعة فيها مع النهج التحريفي–الانقلابي. ولقد دام هذا الصراع أزيد من عشر سنوات وشمل كل القضايا الأساسية: الاختيار الإيديولوجي، المواقف السياسية داخليا وخارجيا، القضايا التنظيمية الحزبية والجماهيرية.. وتوفرت فيه كل شروط النضج لكي يفرز تيارا ثوريا متجذرا واسعا، تيار أغلبية المناضلين، في تناقض وتضاد وصراع مع تيار الأقلية الانتهازية البورجوازية الصغيرة.

وإن طبيعة التيار الثوري وشروطه الناضجة هي التي أهلته ليس فقط لهز التيار التحريفي الانقلابي، فكريا وسياسيا وتنظيميا، لكن أيضا لطرح بديل تقدمي أصيل في الساحة المغربية ككل. وهذا ما حمله البيان الصادر عن قيادة الحزب (اللجنة المركزية واللجنة الإدارية) في 8 ماي 1983 والذي ناشد القواعد الحزبية بإعادة هيكلة التنظيم الحزبي تحضيرا للمؤتمر الوطني الرابع، معلنا بصفة رسمية القطيعة النهائية مع المكتب السياسي السابق ومناصريه ..

هكذا فإن الحسم التنظيمي مع التحريفية الانقلابية لم يكن سوى نتيجة طبيعية للصراع بمختلف مراحله المتصاعدة (مرحلة التوضيح – مرحلة صراع الأطروحات الفكرية والسياسية – مرحلة الصراع التنظيمي والجماهيري) ولم يكن سوى نقلة نوعية حتمتها تراكمات الصراع ونتائج مراحله المتتالية المترابطة، فيما طرحت أيضا حركة 8 ماي مهمة مركزية لا تقل أهمية وخطورة: بلورة البديل التقدمي المتكامل في الساحة المغربية ... وذلك هو الشق الجدلي المكمل لمسألة الحسم التنظيمي النهائي مع اليمين.

هذا البديل يجب أن يكون شموليا، ويسطر الأجوبة الواضحة حول القضايا الجوهرية، فيشمل الجوانب الإيديولوجية والسياسية والتنظيمية بشكل منسجم مترابط، ليس على مستوى الطرح المبدئي والنظري وحسب، بل بأخذ ورد مع الممارسة العملية حزبيا وجماهيريا. وهذا البديل ليس اجتهادا نظريا محضا، ولا هو ينطلق من عدم، بل يرتكز على التراث التقدمي الفكري والسياسي للحزب. تراث زاخر كتبه التاريخ بفضل كفاح شهداء الحزب ومناضليه الأوفياء، الذين قدموا أجسم التضحيات من أجل استمرار وتعميق هذا التراث بما يحمله من مكاسب ومواقف مشرفة، وكفاحات ونضالات شعبية مشرقة. ويرتكز هذا البديل بصورة أدق على مكتسبات عقد من الصراع مع النهج التحريفي الانقلابي، وما أفرزه من مواقف متميزة متقدمة على كل الأصعدة، في شكل رصيد هام من المواقف والممارسات، وأرضية صلبة لا مناص من الارتكاز عليها واعتمادها في عملية بلورة البديل التقدمي المتكامل.

1-خطنا الإيديولوجي: الاشتراكية العلمية

من المعروف أن الصراع الإيديولوجي –صراع الأفكار– جزء من الصراع الطبقي، وكل طبقة تستعمل إيديولوجيتها للدفاع عن مصالحها والتعبير عن نفسها عبر تنظيماتها ومختلف أدواتها الإعلامية. وأي تنظيم يدعي تمثيل طبقة معينة ولا يتبنى ويمارس إيديولوجيتها يعتبر مجردا من السلاح في واجهة صراع الأفكار والمواقف المترتبة عنها. وهذه القاعدة تنطبق على جميع الطبقات، إقطاعية كانت أم بورجوازية أم عمالية.

وحزب الطليعة الذي يجسد استمرار حركة التحرير الشعبية ويتبنى مصالح الطبقة العاملة، اختار منذ عقود **الاشتراكية العلمية** كاختيار إيديولوجي حاسم لارجعة فيه، وسلاح إيديولوجي لمواجهة الأعداء والخصوم الطبقيين، ومنهج علمي لتحليل الواقع الملموس، ومفاهيم يستنبط منها أهدافه وبرامجه القريبة والبعيدة المدى، وتصوراته لتغيير الواقع الحالي وبناء المغرب الحر الديمقراطي الاشتراكي.

إلا أن تواجد التيار التحريفي الانقلابي داخل الحزب، وعلى رأس قيادته لفترات طويلة، قد ألحق التشويه والغموض والابتذال بهذا الاختيار الإيديولوجي الحاسم، وذلك باسم "الخصوصية" التي تميز المجتمع المغربي دون سواه.

هذا التيار كان يتبنى الاشتراكية العلمية لفظيا فقط، مسايرة منه لميزان القوى داخل الحزب وإصرار المناضلين على التشبث باختيارهم الإيديولوجي الواضح، في حين أن التيار التحريفي الانقلابي يتبنى ويمارس في الحقيقة والواقع إيديولوجية بورجوازية صغيرة متدبدبة قابلة بحكم طبيعتها للتبدل والتقلب والطيش ذات اليمين وذات الشمال.. ولقد اضطر حزبنا إلى أزيد من عقد من الزمن إلى خوض الصراع الداخلي والخارجي في آن واحد، صراع الأفكار والمواقف والممارسات، حتى يتمكن في نهاية المطاف من تعرية هذا التيار والكشف عن هويته الحقيقية قبل هزمه إيديولوجيا وسياسيا وتنظيميا وصولا إلى لفظه من صفوف الحزب بصفة نهائية .

ومن ثم أهمية توضيح الخط الإيديولوجي للحزب بالانطلاق من الرصيد الهائل للمواقف والتحاليل الحزبية في مختلف الميادين لتحصيل وتقنين مكتسباتها، والمتغيرات والمستجدات في الساحة الدولية عموما، مع العلم أن بناء الخط الإيديولوجي الواضح والمتكامل الجوانب لا يتم بضربة سحرية، بل عبر صيرورة التراكمات الفكرية والسياسية، وفي علاقة جدلية بالممارسة العملية حزبيا وجماهيريا وفي الحياة الداخلية للحزب كذلك.

البعد التاريخي للاختيار الإيديولوجي

وإذا كان الخط الإيديولوجي الواضح، خط الاشتراكية العلمية، سلاح في يد الطبقة العاملة والشغيلة والكادحين عامة في صراعهم مع المستغلين، فإن هذا الصراع ليس وليد اليوم، بل له امتداداته وأسسه التاريخية التي تمتد إلى ظهور التقسيمات الطبقية في مجتمعنا، وبالتالي فإن لخطنا الإيديولوجي امتداداته وأسسه التاريخية أيضا. ذلك أن حزبنا لم يتبنَّ الاشتراكية العلمية انطلاقا من اختيار نظري مجرد، بل توصل إليها عبر التطور التاريخي لمسيرة كفاحية شعبية طويلة: المقاومة الشعبية ضد التدخل الأجنبي وضد الاستغلال

والاستعباد الإقطاعي–المخزني، حركات الهيبة وماء العينين، ثورة الريف، الحركات السياسية الوطنية، المقاومة المسلحة وجيش التحرير، ثم مسيرة الحزب نفسه التي انطلقت منذ أزيد من 30 سنة.

وإذ يتبنى حزبنا هذا الكفاح الشعبي التاريخي الزاخر ويجسد استمراريته، فإنه قد واكب أيضا مختلف مراحل الفرز التي عرفتها حركة التحرير الشعبية سواء قبل الاستقلال أو بعده. وما الفرز الذي عرفه في 8 ماي 1983 إلا استمرارا منطقيا وحلقة أعلى من بين حلقات الفرز المترابطة التي عرفتها حركة التحرير الشعبية ومراحل المد والجزر التي عاشتها (ثورات الشمال والجنوب – ايكس ليبان وإجهاض الثورة الوطنية – انتفاضات الجامعات المستقلة لحزب الاستقلال – الصراعات الداخلية للحزب بمختلف مراحلها ...) وبالتالي فإن تبني حزبنا للاشتراكية العلمية بموازاة مع تطور التصنيف الطبقي في مجتمعنا الراهن، تبلور مكونات وتعابير كل طبقة طبقة، وتوضح الحدود الفاصلة بينها، وتطور الصراع الطبقي مع تعمق الفوارق الطبقية وتسريع وثيرة هذا التعمق.. إن هذا التبني المنسجم مع تراث شعبنا النضالي والمواكب له يأتي أمرا تاريخيا طبيعيا، لأن حزبنا هو المجسد لاستمرار حركة التحرير بمضمونها الشعبي، ولأن الاشتراكية العلمية هي الوريث الشرعي الطبيعي لكل فكر تقدمي تاريخي.

الموقع الطبقي .. والمنهج العلمي

إذا كان لخطنا الإيديولوجي جذوره وامتداداته التاريخية، فإن له أيضا جذوره وامتداداته الاجتماعية في مجتمعنا الطبقي الراهن. وذلك بالنظر إلى الموقع الطبقي الذي اختاره الحزب –موقع الطبقة العاملة– ضمن التصنيف والصراع الطبقي الجاري، وباعتبار طموحه إلى قيادة نضال كافة الجماهير الشعبية وطليعتها الطبقة العاملة.

وباعتبار أن التصنيفات الطبقية والامتدادات التاريخية للكفاح الشعبي ليست ظواهر خاصة ببلادنا، فإن لخطنا الإيديولوجي بعده الأممي والإنساني الواضح كذلك، لأننا نتبنى الاشتراكية العلمية بوصفها أرقى نتاج فكري كوني أفرزه التطور التاريخي للفكر الإنساني التقدمي، وباعتبارها منهجا لتحليل وفهم الماضي والحاضر فهما علميا موضوعيا، ورسم الأهداف والتصورات التي تخدم مصالح الشغيلة والبشرية جمعاء، ذلك أن طريق الاشتراكية العلمية هو الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى تحرير الإنسان وإنهاء الاستغلال وتحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية والتقدم والازدهار والسعادة.

لقد تبلورت الاشتراكية العلمية ضمن محددات تاريخية معروفة اقترنت بنشوء النظام الرأسمالي من أحشاء النظام الإقطاعي، ومقابل ذلك نمو الحركة العمالية حجما ونضالا، وبروز الفكر الاشتراكي كنقيض للفكر والإيديولوجية البورجوازية. وعرف الفكر الاشتراكي نفسه انطلاقة تقريبية مجزأة (الاشتراكية الطوباوية، الجدلية "المجردة"، التفسير المادي للتاريخ) قبل أن يتم نقد هفوات هذا الفكر وتناقضاته، وتجريده من الأفكار الخيالية، وصولا إلى صياغة أسس الاشتراكية العلمية، نظرية الطبقة العاملة وسلاحها الإيديولوجي في معركتها من أجل التغيير والبناء الاشتراكي .

وعندما قال حزبنا أن "الاشتراكية اشتراكية واحدة"، فإنما حدد انتماءنا إلى الاشتراكية العلمية كفكر وإيديولوجية كونية، وذلك انطلاقا من واقعنا الملموس وتطورنا التاريخي، حزبا وشعبا، علما بأن الاشتراكية العلمية التي تعتمد من أساسها قوانين التغيير

والتطـور الـدائم، تنبـذ أكثـر مـن غيرهـا الجمـود العقائـدي والنقـل الميكـانيكي والتبسـيط والسطحية، وتعتمد مثلها مثل سائر العلوم، الاجتهاد النظري الدائم الذي يمكنها من التطور بشكل مستمر نحو مزيد من الدقة والإتقان، وذلك في ضوء نتائج الممارسة والتجارب الثورية الحية التي تخوضها الشعوب.

هكذا نفهم ونؤمن بالاشتراكية العلمية، ونتبنى المنهج الجدلي، والتفسير المادي للتاريخ، وقوانين الصراع الطبقي، ونؤمن بالعدالة الاجتماعية والديمقراطية الاشتراكية الشاملة أهدافا لنا، وبعلاقات الإنتاج الاشتراكية العادلة بديلا لعلاقات الاستغلال، وبالقيم الأخلاقية والسلوكية والثقافية الثورية بديلا عن الاستلاب والقيم الأنانية البورجوازية المنحطة، وبالحزب الثوري كأداة تؤطر نضال الشغيلة والكادحين وتخدم مصالحهم وتخضع لمراقبتهم الديمقراطية الدائمة. وباختصار فإن الاشتراكية العلمية هي إيديولوجيتنا ومنهجنا لتحليل الواقع الملموس تحليلا علميا وتغييره تغييرا جذريا، وبناء المجتمع الاشتراكي الذي نطمح إليه استنادا للمفاهيم الاشتراكية العلمية الكونية وبناء على خصوصيات شعبنا وتراثه التقدمي.

إن حزبنا الذي يسعى إلى استكمال بناء خطه الإيديولوجي وتسليح مناضليه بالنظرية الثورية، يقف بحزم ضد الإيديولوجية الإقطاعية الفاسدة المنحطة ويصارع أفكارها في كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية من خلال الصراع النظري والإيديولوجي، صراع الأفكار، كما في الحياة الاجتماعية والسلوك اليومي للمناضلين.. إنه يعمل بكل ما لديه من طاقة على هزم الإيديولوجية الإقطاعية التي تمتد جذورها إلى العصور الغابرة، واقتلاع تلك الجذور، وإنهاء الاستلاب الذي تمارسه في حق الفرد والجماعة كما يقف بنفس الحزم ضد المغالطات والتشويه المستمر الذي تمارسه زمرة من التحريفيين الانقلابيين في حق المفاهيم الديمقراطية والاشتراكية بهدف إفراغها من محتوياتها وأهدافها الاجتماعية، وإيجاد غطاء فكري لمواقفهم وممارساتهم البورجوازية الانتهازية والمغامرة.

إن التوضيح والصراع الإيديولوجي جزء لا يتجزأ من الصراع الطبقي كما أسلفنا، وعندما يقوم حزبنا باستكمال وتمتين خطه الإيديولوجي، فليس حبا في الفكر من أجل الفكر، بل من أجل مواجهة الأعداء والخصوم من جهة، ومن جهة ثانية التسلح بمنهج علمي ودليل يرشد العمل اليومي، ويرسم الخط الاستراتيجي وطنيا وقوميا وأمميا، ويسطر المبادئ التنظيمية، ومنه تنبثق الممارسة العملية حزبيا وجماهيريا، ليس بشكل ميكانيكي، ولكن في علاقة اغتناء جدلية مستمرة.

إن الخط الإيديولوجي والاستراتيجية والبرنامج السياسي والممارسة العملية التنظيمية والجماهيرية أطراف من نفس الاختيار الأساسي، تتبادل التأثير والتفاعل فيما بينها في تماسك وترابط جدلي لا يقبل التجزئة ولا الانتقائية. فالانتماء الإيديولوجي يحدد الاستراتيجية العامة، ومن هذه الأخيرة تنبثق المواقف السياسية والجماهيرية المطروحة للممارسة العملية اليومية. والممارسة وسط الجماهير خدمة لها وتعلما منها وهي وحدها القادرة على امتحان صحة المواقف والأهداف المرسومة وتقييمها واغتنائها وتعديلها عند الضرورة، وفرز الصحيح منها من الخاطئ، وتطويرها وتعميق مضمونها والمفاهيم التي تستند إليها ، سواء بالنسبة لمرحلة التغيير أو بالنسبة لمرحلة البناء الديمقراطي والاشتراكي .

2-خطنا السياسي المرحلي:
الخط الوطني الديمقراطي المستقل

انطلاقا من اختياره الإيديولوجي، حدد حزبنا استراتيجيته الثورية من أجل التغيير والبناء الاشتراكي، وعبر بتركيز شديد عن أهدافه الاستراتيجية من خلال شعاره المركزي : **تحرير – ديمقراطية – اشتراكية**.

فمهام التحرير الوطني (بمفهومه الأصيل) لازالت مطروحة في بلادنا من أجل استكمال وحدتها الترابية من الشمال إلى الجنوب، وتحقيق السيادة الوطنية على كامل التراب من جهة، ومن جهة ثانية تحرير هياكل الاقتصاد الوطني من هيمنة الاستعمار الجديد والإمبريالية، ووضع حد للتبعية للإمبريالية في كافة المجالات، الاستراتيجية منها والاقتصادية والسياسية والثقافية. وبالتالي فإن التحرير لدى حزبنا يعني تحرير الأرض والإنسان في آن واحد.

ومن ثم ترتبط مهام التحرير بمسألة الديمقراطية، وبكفاح حزبنا ضد كافة مظاهر الاستبداد ومخلفات العهود الإقطاعية البائدة، ويناضل من أجل حفظ حقوق الكادحين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، واحترام الحقوق والحريات الديمقراطية، وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين المواطنين في ظل ديمقراطية حقيقية، وليس في إطار المؤسسات والواجهات الشكلية التي تكرس الاستعباد والاستبداد باسم "الليبرالية".

والديمقراطية التي يسعى حزبنا إلى تحقيقها في المدى البعيد هي الديمقراطية الاشتراكية باعتبارها أرقى أشكال الديمقراطية. فهي وحدها تحقق فعلا المساواة بين المواطنين، لأنها تبدأ من الأساس: المساواة في الحقوق الاجتماعية والسياسية والثقافية، وتجعل من العدالة الاجتماعية هدفا وليس مجرد وسيلة، وبالتالي فإنها وحدها الكفيلة بخدمة مصالح الشغيلة وتحرير طاقاتها الخلاقة الجبارة من أجل بناء مجتمع "الحرية والمساواة والتآخي".

هكذا فإن مهام التحرير والديمقراطية والاشتراكية ترتبط لدى حزبنا ارتباطا جدليا ضمن الاستراتيجية الواحدة، القارة والمتماسكة والمستنبطة من إيديولوجيته الثورية. إلا أن هذه الاستراتيجية لا يمكن أن تتحقق دفعة واحدة، وهي لا تتعارض ولا تتناقض في شيء مع التكتيك والبرنامج المرحلي. بل إنه لا معنى للاستراتيجية المجردة بدون برنامج مرحلي، كما أن أي تكتيك أو برنامج لا يخدم الاستراتيجية أو يتعارض معها، مآله الانحراف والخروج عن الخط الحزبي كيفما كانت نتائجه الظرفية.

السيادة الوطنية والسيادة الشعبية

وفي هذه المرحلة بالذات، يعتمد حزبنا برنامجا سياسيا مرحليا يتمفصل حول قضيتين جوهريتين مرتبطتين بشكل عضوي : قضية السيادة الوطنية وقضية السيادة الشعبية. وهو ما نعبر عنه بالبرنامج أو الخط الوطني الديمقراطي المستقل.

فقضية السيادة الوطنية بالنسبة لحزبنا هي أولا وبشكل مبدئي قضية تحرير وتوحيد كامل التراب الوطني من الشمال إلى الجنوب، وهي أيضا ومبدئيا قضية تحرير التراب والإنسان المغربي من هيمنة الاستعمار والاستعمار الجديد والإمبريالية على الموقع الاستراتيجي

الممتاز لبلادنا وخيراتها وطاقاتها الاقتصادية والبشرية. وإذا كانت كل الطبقات بدون استثناء تلتقي حول شعار السيادة الوطنية على كامل التراب (وهذا أمر طبعي) فإنها تختلف جوهريا حول مفهوم التحرير ومضمونه وأهدافه القريبة والبعيدة.

فالطبقة الحاكمة استغلت وتستغل القضية الوطنية لخدمة مصالحها الخاصة اقتصاديا وسياسيا، داخليا وخارجيا أي أن مواقفها وممارستها تجاه القضية الوطنية هي مواقف وممارسة طبقية استهدفت من خلالها:

- فك عزلتها الداخلية بالتعاقد مع شرائح ونخب من البورجوازية المتوسطة والصغيرة من خلال تبادل المصالح.
- إدامة هيمنتها وتأجيج حربها الطبقية الموجهة ضد الجماهير الشعبية وقوتها اليومي، وقمع نضالاتها الديمقراطية المشروعة.
- تثبيت التعسف والاستبداد السياسي عن طريق واجهة "ديمقراطية" شكلية.
- تمتين وتحصين ارتباطها العضوي بالدوائر الأجنبية، دوائر الرأسمال العالمي والأمبريالية .. كل هذا باسم القضية الوطنية وتحت غطائها .

إن هذه الطبقة لا تقدم أي تضحية في سبيل القضية الوطنية، على العكس من ذلك فإنها أطنبت في المضاربة والربح السهل والبذخ الفاحش، وأدت سياستها فعلا إلى ارتهان قدرات بلادنا الاستراتيجية ونهب خيراتها واستنزاف طاقاتها وإغراقها في الديون وفي أزمة اقتصادية-اجتماعية لم يسبق لها مثيل. ونالت هذه السياسة تزكية وتواطؤا موضوعيا من طرف النخب السياسية الانتهازية.

أما حزبنا المجسد لاستمرار حركة التحرير الشعبية، المتمسك بالوحدة الترابية والسيادة الوطنية، المدافع عن مصالح الشغيلة والكادحين، فإنه لن يتنازل عن أهدافه الوطنية التحررية ولن يغير منها لمجرد أن الطبقة الحاكمة أخذت تتبنى لفظيا جانبا منها، خدمة لمصالحها الطبقية الخاصة والتي تتعارض في نهاية المطاف مع المصالح العليا للوطن. كما أنه لن يزكي سياستها الطبقية هذه، ولن يكون تابعا أو ذيلا لها، لأنه هو صاحب الطرح والممارسة الوطنية الأصيلة التي لن يقبل بصددها أن تسرق منه شعاراته لأغراض ضيقة مبيتة، ولأنه ينطلق هو الآخر من موقعه الطبقي لتحديد موقفه وممارسته تجاه القضية الوطنية، من موقع الطبقة العاملة والجماهير الشعبية التي تنطبق مصالحها مع مصالح الوطن تام التطابق، والتي تعاني من الاستغلال المزدوج، داخليا وخارجيا، وتؤدي ثمن الهيمنة على قدرات البلاد الترابية منها والاقتصادية. وبالتالي فهي صاحبة المصلحة في السيادة الوطنية والتحرير، وبتحررها وانعتاقها تتحقق السيادة الوطنية الفعلية مقترنة بالسيادة للشعب سيادة حقيقية.

وهنا يتجلى الارتباط العضوي بين التحرير والديمقراطية مرة أخرى... فنحن لا نطرح القضية الوطنية بشكل مجرد أو شوفيني ضيق أو من أجل خدمة الاستغلاليين وتوسيع رقعة استغلالهم، بل على العكس من ذلك نطرحها بمضمونها الشعبي، أي المضمون الطبقي، من موقع الشغيلة والكادحين، وفي ارتباط جدلي مع مصالحها و قضاياها الاقتصادية منها والسياسية، وعلى رأسها مسألة الديمقراطية .

وهذا الارتباط العضوي تطرحه أيضا الطبقة الحاكمة من موقعها ووعيها بمصالحها هي الأخرى.. وهذا هو معنى الحملة التي خاضتها والخطة التي رسمتها لإقامة واجهة

ديمقراطية شكلية بشكل مرتبط مع تحريكها للقضية الوطنية وفي إطار ما يسمى ب "مسلسل التحرير والديمقراطية".

لقد أوضح حزبنا في العديد من أدبياته وتحاليله ومواقفه أن الطبقة الحاكمة في بلادنا عاجزة كل العجز عن تحقيق "الليبرالية" والديمقراطية البورجوازية، وذلك بحكم طبيعتها الهجينة، طبيعتها الطفيلية الكومبرادورية. إنها طبقة تعادي الرأسمال الوطني وتخشى التنافس النزيه والمبادرة الحرة، ولا تقبل بحقوق الإنسان إلا كحبر على ورق، ولا تريد من المؤسسات المنتخبة سوى أن تكون غرفا لتسجيل قراراتها، ولا ترضى بقانون إلا ذلك الذي يخدم مصالحها، ولا ترى في فصل السلط إلا إضعافا لنفوذها وسلطتها الطبقية المطلقة. وبالتالي فإنها تعادي الأسس الإيديولوجية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي تنبني عليها الليبرالية والديمقراطية البورجوازية، وتستفيد كامل الاستفادة من الوضع اللاديموقراطي الراهن، وتعارض وتقاوم أي تغيير له، وترى في الديمقراطية الحقة مساسا خطيرا بمصالحها قد يؤدى إلى نسف تلك المصالح والامتيازات نسفا كاملا.

الأفق الاستراتيجي والبرنامج المرحلي

وأوضح حزبنا أن الديمقراطية التي يناضل من أجلها في المدى البعيد هي الديمقراطية الاشتراكية التي تحقق المساواة الفعلية بين المواطنين في كافة المجالات، الاقتصادية والسياسية. ولكن الديمقراطية في مختلف أشكالها ومستوياتها ليست عبارة عن حقوق وهبات تمنح للمواطنين، بل هي مكاسب شعبية تحقق بالنضال والتضحية، بدءا بالديمقراطية في مستوياتها الدنيا وشكلها البورجوازي، نقيض الأوتوقراطية، ووصولا إلى أرقى أشكال الديمقراطية الاشتراكية الشاملة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.

من هذا المنطلق يقبل حزبنا مواجهة التحدي المطروح أمامه، هو الحزب المكافح من أجل الديموقراطية منذ تأسيسه، وشهداؤه هم شهداء التحرير والديمقراطية، وهو الذي قدم ولا يزال تضحيات جساما في النضال الديموقراطي مع الجماهير الشعبية وفي كل الواجهات النقابية منها والسياسية والثقافية. وبالتالي فإنه لن يقبل في هذا المجال أيضا أن تسرق منه شعاراته وتفرغ من محتواها وتسخر لخدمة أغراض مناقضة. وقبولنا مواجهة التحدي معناه مواجهة الطبقة الحاكمة في الميدان الذي اختارته، والنضال من أجل تعرية وفضح الممارسات التي تدوس الديمقراطية وتتلاعب بها وتجعل منها مجرد واجهة شكلية للتغطية على واقع الاستبداد والاستغلال، واجهة للاستهلاك والتأثير على الرأي العام الخارجي.

إن الديمقراطية الشاملة لا يمكن أن تتحقق دفعة واحدة وبدون تغيير جذري للهياكل الحالية، وبالتالي فإنها تشكل هدفا من أهدافنا الاستراتيجية على المدى البعيد. والكفاح الذي يخوضه حزبنا حاليا في الواجهة الديمقراطية يخدم هذه الاستراتيجية ولا يتناقض معها في شيء. إن نضالنا في المرحلة الراهنة من أجل احترام حقوق الإنسان، الاقتصادية منها والسياسية، واحترام الحريات العامة، وإلغاء القوانين الاستعمارية الاستبدادية، ونضال مناضلي حزبنا في الواجهات الجماهيرية، وكفاحنا السياسي من أجل مؤسسات تمثيلية منتخبة انتخابا حرا نزيها.. إن هذا النضال الديمقراطي اليومي في مختلف الواجهات يشكل نضالا ثوريا أصيلا، قياسا بشروط وظروف وطبيعة المرحلة، وكفاحا دؤوبا تتخلله تضحيات جساما.. وبالتالي فإن أي مكسب يتحقق في واجهة من واجهات النضال الديمقراطي الحقيقي يعد مكسبا للشغيلة والشعب المغربي قاطبة.

إن هذا النضال الديمقراطي الثوري الأصيل الذي نخوضه في هذه المرحلة خدمة وانسجاما مع استراتيجيتنا العامة، جنبا إلى جنب مع القوى الحية في بلادنا، لا علاقة له بالخط والممارسة الانتخابية الانتهازية التي انتهجها التيار التحريفي-الانقلابي خدمة لمصالحه الضيقة التي تمر عبر العمالة الطبقية والتواطؤ وتبني وتزكية أطروحات الطبقة الحاكمة بما فيها تلك التي تشوه الديمقراطية وتلحق بالغ الأضرار بمصالح الشعب والوطن.

إن النضال المرير الذي خاضه حزبنا ضد الخط الانتخابي الانتهازي، والتضحيات الكبيرة التي رافقته، والفرز النهائي الذي نتج عنه، قد رسم الخط الأحمر الناصع البين ما بين النهج الديمقراطي التقدمي الأصيل لحزبنا ونهج التواطؤ والعمالة والانتفاع "على ظهر الجماهير" واستغلالا لطاقاتها. وسيظل حزبنا متمسكا بموقعه في هذا الصراع الديمقراطي، رافضا أي مساومة، صغيرة كانت أم كبيرة، بالنضال اليومي الدؤوب وبالحضور النضالي في كافة الواجهات مع الجماهير ودفاعا عن مصالحها وخدمة لها.

هكذا ترتبط وتتكامل مهام التحرير والديمقراطية في إطار خطنا السياسي المرحلي المستقل استقلالا ناجزا عن سياسة الطبقة الحاكمة وأذنابها، وفي إطار خدمة استراتيجيتنا وشعارها المركزي: تحرير – ديمقراطية – اشتراكية.

وحدة كافة القوى التقدمية ضرورة تاريخية

وإذ يسترشد حزبنا بالنظرية الثورية في تحديد برنامجه و خطته القطاعية و ممارسته، فإنه يعني ويدرك أن مهام التحرير والديمقراطية لا تعني الطبقة العاملة لوحدها، ولا تعني حزبنا كقوة سياسية لوحده، بل أنها تعني جميع الطبقات والفئات الاجتماعية المتضررة من الأوضاع الحالية، وبالتالي فإن حزبنا يتبنى نظرية الجبهة الديمقراطية ويناضل من أجل قيامها لتضطلع بمهامها التاريخية، مهام التحرير والديمقراطية.

وإذا كانت الظروف الموضوعية ناضجة حاليا لقيام مثل هذه الجبهة نظرا لتعمق التناقض الأساسي الذي يفصل بين الأقلية المستغلة (البورجوازية الكبيرة الطفيلية المرتبطة بالرأسمال العالمي) والأغلبية الساحقة للشعب المغربي (العمال والفلاحون والتجار الصغار والحرفيون والمثقفون والشرائح البورجوازية الوطنية..) فإن عددا من العراقيل ذات الطابع الذاتي لازالت تحول دون قيام جبهة ديمقراطية حقيقية، أي جبهة نضالية تخوض النضال الوطني الديمقراطي ضد الطبقة المستغلة وفق برنامج حد أدنى تلتزم به كل القوى المنخرطة في الجبهة وذات التمثيلية الاجتماعية الموضوعية والفعلية. ومن بين هذه العراقيل: الغموض والتشويه الذي يسود الساحة السياسية المغربية تحت مظلة "الإجماع الوطني"، كمغالطة تاريخية أقامتها الطبقة الحاكمة وحلفاؤها المتواطئون تحديدا للحيلولة دون قيام جبهة ديمقراطية مناضلة، ولتمييع الصراع وتمرير الاستغلال والقهر والاستبداد باسم الإجماع، ولتبرير وتزكية وترسيم العمالة الطبقية محل النضال الديمقراطي الدؤوب الصبور، وذلك مقابل انتفاع شرائح من البورجوازية المتوسطة والصغيرة وإشراكها في غنائم الاستغلال الاقتصادية منها والسياسية.

ولقد وقف حزبنا بحزم وعزم في وجه التيار التحريفي–الانقلابي الذي قاد هذه المغالطة التاريخية و"ناضل" من أجلها بكل ما لديه من إمكانيات وقوة.. وتمكن حزبنا في نهاية المطاف، من حل الإشكال الداخلي الذي عاشه مع هذا التيار، ورسم الخط الفاصل بين العمالة الطبقية والكفاح الديمقراطي الحقيقي. إلا أن تأثيرات هذه المغالطات لا زالت حاضرة

في الساحة السياسية ككل، ولازالت عدد من النخب السياسية تعمل على تكريسها وخدمتها وتكريس الغموض واستلاب الجماهير، وبالتالي فإن الخط الفاصل بين الأقلية المستغِلة والأغلبية المستغَلة لا زال يشوبه الغموض والتذبذب على المستوى الذاتي والسياسي. وتلك عرقلة في وجه قيام الجبهة الديمقراطية، عرقلة تطرح مهام التوضيح والفرز على مستوى الساحة السياسية ككل.

وسيظل حزبنا يناضل من أجل إزاحة هذه العراقيل متمسكا بالعمل الوحدوي النضالي السليم، بعيدا عن أي تحجر أو تعصب، داعيا إلى توحيد كل الطاقات النضالية الوطنية الديمقراطية في إطار تصوره الواضح لمسألة بناء جبهة وطنية للنضال من أجل الديمقراطية والذي تم التعرض له وشرحه إعلاميا وجماهيريا في غير ما مناسبة.

المغرب العربي ووحدة الأمة العربية

إن هذا المفهوم الوحدوي لا ينحصر لدى حزبنا على الصعيد الوطني، بل يتعداه ليشمل الساحة العربية ككل باعتبار أن شعبنا جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، وباعتبار أن التناقض الأساسي الذي تعيشه أمتنا في هذه المرحلة لا يختلف في جوهره وسماته العامة عن التناقض الأساسي في بلادنا. هذا التناقض صنف ولا يزال يصنف بمزيد من الوضوح، وفي ضوء كفاح الشعوب العربية، القوى المتصارعة إلى صفين متناقضين متناحرين : صف الصهيونية والإمبريالية والرجعية العربية المساومة والمتواطئة، وصف القوى الوطنية الديمقراطية العربية.

لقد اعتبر حزبنا دائما أن القضية الفلسطينية، قضية تحرير فلسطين واسترداد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، بمثابة قضية وطنية له، وعيا منه بطبيعة الصراع الذي تتواجه فيه الأمة العربية مع الاستعمار الصهيوني الفاشي حليف الإمبريالية، وتثمينا لكفاح الشعب الفلسطيني الذي لا يطرح حزبنا مسألة "التضامن" بصدده، بل يعتبر نفسه معنيا بشكل مباشر بهذا الكفاح، التزم و يلتزم به، وقدم ويقدم التضحيات من أجله، بل من أجل نصرة الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بكل فصائلها الوطنية التقدمية.

ويؤمن حزبنا إيمانا راسخا بالنضال من أجل وحدة الأمة العربية التي مزقها الاستعمار وفرق فيما بين شعوبها، وعملت الأنظمة الرجعية على تكريس هذه التفرقة وإدامتها، واعتماد الوحدة مع الدوائر الإمبريالية محلها، والانخراط والتواطؤ في مشاريعها التصفوية الاستعمارية الجديدة، لا لشيء إلا لإدامة الامتيازات التي تتمتع بها الطبقات الطفيلية التي تمثلها هذه الأنظمة وذلك من خلال السمسرة وخدمة المصالح الأجنبية الإمبريالية.

والوحدة التي يؤمن بها حزبنا هي وحدة الشعوب المبنية على مصالحها الموضوعية وتاريخها وتراثها ونضالها الوطني القومي المشترك، وحدة الشعوب عبر تنظيماتها الاجتماعية والسياسية ومؤسساتها التمثيلية الحقيقية، وحدة تخدم أهداف التحرر والديمقراطية، وتؤسس القاعدة الموضوعية الصلبة لبناء الاشتراكية وتحقيق التقدم والازدهار للأمة العربية بعد التخلص من كل العراقيل التي تعوق مسيرتها التاريخية الحتمية.

وبالتالي فإننا نقف بحزم لا يلين ضد كل العوامل التي تعيق الوحدة أو تضرب أسسها أو تكرس التشرذم والشوفينية والعصبوية، ومنها النزاعات والحروب المدمرة الإجرامية

المفتعلة بين الشعوب والأقطار العربية، ومنها كذلك المخططات التصفوية الرامية إلى تركيع الأمة العربية وتقنين الأمر الواقع الصهيوني، وتفويت الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وتكريس الهيمنة الإمبريالية الرجعية، وتقسيم الأمة العربية وشعوبها بصفة نهائية .

وعند ما يطرح ويمارس حزبنا اختياره القومي الوحدوي هذا، فإنه لا يخطئ في موقعه، وفي اختيار حلفائه وتصنيف أعدائه، أعداء الشعب المغربي والأمة العربية قاطبة، بل إنه يقف بحزم وعزم في خندق الشعوب، خندق كافة القوى الوطنية الديمقراطية العربية، وينخرط في تنسيق وتوحيد طاقاتها ونضالاتها، ويؤمن بضرورة قيام جبهة ديمقراطية عريضة فيما بينها، وذلك بخط فاصل لا غبار عليه مع خط الصهيونية والإمبريالية والرجعية العربية.

وفي هذا الإطار طرح حزبنا منذ تأسيسه شعار وحدة المغرب العربي كحلقة ولبنة أولى ضمن اختياره القومي الوحدوي، اختيار وحدة الأمة العربية قاطبة. وحدد حزبنا بالنسبة للمغرب العربي كذلك أن الوحدة الاستراتيجية التي يسعى إليها هي وحدة شعوب المغرب العربي عبر المؤسسات والتنظيمات التي تمثل مصالحها، وحدة لا يمكن فصلها عن استكمال مهام التحرير والديمقراطية وتحقيق السيادة الوطنية والشعبية معا. أما أشكال الوحدة التي تعلن بشكل سطحي فوقي ولأغراض تكتيكية تخدم المصالح الذاتية الآنية لهذا النظام أو ذاك فإنها تنتهي دائما بانتهاء الأغراض التكتيكية الضيقة التي دعت إلى قيامها، وغالبا ما تعود نتائجها بشكل سلبي على مفهوم الوحدة، لأنها تقود في النهاية إلي تشويه هذا المفهوم وابتذاله وضرب مصداقيته لدى الجماهير العربية.

إلا أن حزبنا لا يطرح مسألة وحدة المغرب العربي بشكل استراتيجي مجرد، وينتظر استكمال كل الشروط الموضوعية والذاتية التي تسمح بتحقيق وحدة الشعوب كما يفهمها، بل إنه يتفاعل مع كل المستجدات ويحدد موقفه وممارسته إزاءها بمقاييس واضحة لا غبار عليها. فهو في المرحلة الراهنة يؤيد -وهذا لا يتناقض في شيء مع طرحه الاستراتيجي- أي خطوة وحدوية تتضمن موضوعيا خدمة مصلحة شعوب المغرب العربي، ولو في مجال من المجالات الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، ويؤيد كل ما يقرب بين الشعوب أو يخفف من التوتر والنزاع والحرب فيما بينها، كما أنه يقف بحزم ضد أي إذكاء للشوفينية بين الشعوب، وأي محاولة لتكريس التقسيم والتشرذم و سيتخذ حزبنا موقفا واضحا من أي تكتيك "وحدوي" يستهدف خدمة مصالح الأنظمة على حساب مصالح الشعوب ويقوي الرجعية ويخدمها، على حساب القوى الوطنية الديمقراطية، أو يكرس الاستغلال والتبعية باسم الوحدة على حساب التحرر والديمقراطية .

هكذا يتعامل حزبنا في المدى القريب مع تطورات قضية المغرب العربي -إيجابا أو سلبا حسب مقاس خدمة الخط الوطني الديمقراطي الوحدوي- ويناضل في نفس الوقت من أجل خدمة شعاره الاستراتيجي الرامي إلى تحقيق وحدة المغرب العربي ضمن أهدافه الاستراتيجية الوحدوية على صعيد الأمة العربية جمعاء .

البعد الأممي:

وإن التزامنا هذا بقضية الوحدة العربية لا يتناقض في شيء مع التزامنا الأممي في خندق "قوى التحرر والتقدم العالمية"، مواجهة لخندق الاستعمار والإمبريالية والرجعية. على العكس من ذلك، فإن الالتزام القومي جزء من الالتزام الكوني الإنساني، وكلا

الالتزامين مستمدين أساسا وأصلا من الانتماء الإيديولوجي ومن القيم الأساسية التي نؤمن بها في إطار هذا الانتماء، ألا وهي قيم التحرر والديمقراطية والاشتراكية والسلم والتعاون بين الشعوب.

وهذه القيم ليست مجرد أفكار وتخيلات، بل هي واقع مادي يتجسد في عصرنا الراهن في مختلف مكونات الحركة الوطنية والتقدمية العالمية التي ما فتئت تكافح من أجل تحرر الشعوب وانعتا قها. ومقابل ذلك تقف الإمبريالية وحلفائها كقوى عالمية أيضا، تعادي القيم المذكورة، وتعمل بكل وسائلها العالمية الجبارة العسكرية والسياسية والاقتصادية والمالية والإعلامية من أجل إدامة الهيمنة الاستعمارية الجديدة.

وزيادة على ذلك، فإن تطور النظام الرأسمالي العالمي، والتداخل والترابط الاقتصادي المضطرد في إطار السوق الرأسمالية الدولية، والهيمنة المفرطة التي فرضت على البلدان التابعة بشتى الوسائل والضغوطات ذات الطابع الاستعماري.. إن كل هذا يجعل معطيات وتفاعلات الصراع الدولي حاضرة في عيشنا اليومي اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا وتندمج حتما ضمن معطيات كفاحنا اليومي "الداخلي-الخارجي" من أجل التحرر والديمقراطية والاشتراكية.

وهنا أيضا لم يتردد حزبنا في اختيار موقعه وخندقه: إنه خندق قوى السلام والتحرر والاشتراكية، خندق حركات التحرر المناهضة للعنصرية والفاشية والاستعمار والإمبريالية وضمنها حركة التحرر العربية، وذلك في صراع انتحاري مع خندق الإمبريالية وحلفائها، قوى الدمار والحرب والعنصرية والاستعمار واستغلال الإنسان للإنسان. وما بين الخندقين منطق الصراع والكفاح، ولا منطق سواه، ولا سبيل للخلط ولا مجال لما يسمى ب"الطريق الثالث" الذي تلجأ إليه القوى التحريفية محاولة عبثا تغطية انتمائها الفعلي للمعسكر البورجوازي وتدبدبها وانتهازيتها باسم الحياد..

إن التزام حزبنا في النضال المناهض للإمبريالية يجعله يتخذ مواقف واضحة في كل قضايا الصراع الدولي الجوهرية، ويناضل بشكل ملموس ضد كل أشكال ومظاهر الهيمنة والتبعية بدءا بالنضال ضد النهب والاستغلال الاقتصادي الذي تمارسه الدوائر الاقتصادية والمالية الامبريالية، من شركات متعددة الجنسية ومؤسسات مالية وغيرها وصولا إلى النضال ضد التسلح وسباق التسلح الذي يهدد الإنسانية قاطبة، ومرورا بالكفاح من أجل حفظ السيادة الوطنية من أي وجود استعماري ومن أي تواجد عسكري واستراتيجي للأمبريالية، عدوة الشعوب ومدمرة طاقتها وخيراتها وقدراتها المادية والبشرية.

وإذا كان حزبنا يناهض الأمبريالية ويناضل ضد مخططاتها وأساليبها وممارساتها الاستعمارية في كافة المجالات الاقتصادية منها والسياسية والثقافية، ويضم صوته إلى كل الأصوات الحرة التي تنادي بالسلم العالمي، فإنه يعمل أيضا من أجل قيام البديل التقدمي لعلاقات التبعية والاستغلال والتدمير هذه، أي قيام نظام دولي قوامه التكافؤ في العلاقة بين الدول في مبادلاتها الاقتصادية والتجارية كما في علاقاتها السياسية والتعاون المثمر بين الشعوب، التعاون المتكافئ أيضا الذي تجد فيه كل الأطراف المعنية مصلحتها، وبالتالي فتح عهد جديد يسوده التآزر والإخاء بين الشعوب والتعاون والتفاعل في اتجاه توطيد وتكريس قيم الحرية والعدالة والتقدم والازدهار كقيم كونية عالية.

بهذه المفاهيم النضالية التقدمية، وانعكاسها في المدى القريب والبعيد معا يرتبط نضالنا المناهض للإمبريالية وخطنا الأممي باختيارنا الاستراتيجي على الصعيد الوطني،

وينسجم تماما مع التزامنا القومي الوحدوي على الصعيد العربي، وعلى صعيد المغرب العربي، ليشكل كل ذلك خطا سياسيا واحدا متماسكا متكاملا، خط ينبثق من استراتيجية التغيير والبناء الاشتراكي المستمدة هي الأخرى من إيديولوجيتنا الكونية: الاشتراكية العلمية، نظرية الطبقة العاملة وكافة الشغيلة، ودليل ومرشد كفاحها المستميت من أجل التحرر والديمقراطية والوحدة والسلام.

3- *بناء الأداة الثورية*

من البديهي أن مجمل اختياراتنا الإيديولوجية والاستراتيجية والسياسية لا معنى لها إذا لم تكن مقرونة بممارسة عملية مطابقة، وممارسة منظمة سديدة. ومن البديهي أيضا أن لا سبيل لمثل هذه الممارسة إلا من خلال أداة تنظيمية محكمة: حزبنا الذي نسعى إلى بنائه بناءً ثوريا. وبالتالي فإن الاختيار التنظيمي لحزبنا والقرارات الحاسمة التي اتخذها في هذه الاتجاه منذ منتصف الستينات، والتي تعرضت هي الأخرى لكثير من التشويه والابتذال والميوعة على يد التيار التحريفي-الانقلابي، إن هذا الاختيار التنظيمي جزء لا يتجزأ من اختيارنا الإيديولوجي، إذ لا مجال داخل حزبنا لأي اجتهادات أو تنظيرات مجردة معلقة في السماء بعيدا عن الواقع الملموس والممارسة العملية، ولا مجال أيضا لأي معالجة تقنية ضيقة للمسألة التنظيمية بعيدا عن المحتوى الإيديولوجي للمفاهيم والقوانين التنظيمية.

إن حزبنا قدم تضحيات كبيرة لا تقدر ولا تحصى.. بعضها ثمنا للصراع الموضوعي مع أعدائه الطبقيين، وبعضها الآخر نتيجة الانحرافات الإصلاحية المغامرة والخيانات القيادية والمؤامرات الدفينة، والأخطاء التنظيمية والميوعة والاستخفاف والاستهتار بالمسألة التنظيمية.

وتضحيات شهدائنا وكافة المناضلين الأوفياء لم ولن تذهب سدى، لأن تلك التضحيات والعطاءات الفكرية والعملية هي التي تشكل رصيد حزبنا وتراثه المشرق والغني بالدروس التي رسخت القناعة بالاختيار التنظيمي وفرضت الاهتمام بالمسألة التنظيمية اهتماما فائقا.

البيروقراطية.. والمركزية الديموقراطية

إن مبادئ المركزية الديمقراطية وما يترتب عنها من حياة ديمقراطية داخلية، وفعالية في اتخاذ القرارات وتطبيقها، ومن هياكل وقنوات تنظيمية مضبوطة، ومبادرة فردية وجماعية وانضباط في نفس الوقت، ومن أخلاق وسلوكيات ثورية، واجتهادات وعطاءات فردية وجماعية متميزة ومتنوعة ضمن نفس الخط التوجيهي والمفاهيم العامة الموحدة، ومن ضبط وتشديد في المقاييس الحزبية ومرونة وتوسيع في نطاق العمل الجماهيري، ومن نقد ونقد ذاتي ومحاسبة صارمة تصحيحية ناضجة، ومن قيادة جماعية تنبذ التشخيص والزعامات.. إن كل هذا لم يعد بالنسبة لحزبنا مجرد أفكار وشعارات يزين بها تقاريره وبرامجه التنظيمية ويتعامل معها العضو الحزبي حسب مزاجه أو قناعاته الخاصة، بل أصبحت قيما ومبادئ لها قوة القانون داخل الحزب، مبادئ إجبارية ملزمة لكل عضو كيفما كانت مرتبته ومسؤولياته. وبقدر ما نتقدم في تطبيق هذه المبادئ التنظيمية تطبيقا سليما ومتفاعلا مع اختيارنا الإيديولوجي وخطنا السياسي، بقدر ما نتقدم خطوات حثيثة نحو بناء

الأداة الثورية ونحو تحقيق أهدافنا... وبالإخلال بهذه المبادئ نفتح الباب للميوعة وللانفصام بين الإيديولوجية والتنظيم، بين المواقف والممارسة، بين الأقوال والأفعال... إذا كان مفهوم المركزية الديمقراطية مطروحا مجددا للنقاش في ضوء فشل النمط البيروقراطي في البناء الاشتراكي، فإننا نعتقد أن الداء أو الانحراف يكمن في هذا النمط نفسه، وفي التطبيق الخاطئ للمركزية الديمقراطية التي يجب أن تعطي باستمرار المكانة المركزية للديمقراطية الداخلية، وأن لا تغيبها تحت أي مبرر من المبررات وأن لا تسمح بإقامة البيروقراطية مكانها باسم الصراع أو السرية أو الأمن ...

إن حزبنا، وعيا منه بدقة وخطورة المسألة التنظيمية في هذه المرحلة بالذات، واستفادة من كل دروس الماضي، قد حسم اختياره التنظيمي بشكل واضح، كجزء من الفرز الذي عاشه، وهو يتأهب اليوم ليس لتطبيق ما هو مسطر ومقرر رسميا في مذكراته وتقاريره التنظيمية المتقدمة الإيجابية وحسب، بل تطوير كل ذلك وتكييفه مع ظروف المرحلة ورفعه إلى المستوى المطلوب، حتى نستحق فعلا لقب حزب الطبقة العاملة والشغيلة، وطليعتها المكافحة، المقدامة في النضال والتضحية والعمل اليومي من أجل تحقيق أهدافها الأممية.

إن ظروف المرحلة والواقع الملموس لبلادنا وشعبنا، وشروط وظروف عصرنا الراهن تفرض على حزبنا من جهة، أن يستوعب ويلتصق بالواقع الملموس الذي يحيط به، ويتجذر وسط الطبقات الشعبية الأساسية، ويمارس العمل التنظيمي بشكل خلاق في المجتمع المغربي العيني، ومن جهة ثانية تجاوز كل الأساليب الحِرفية المتخلفة، والارتقاء بهياكله ومؤسساته وأساليبه التنظيمية إلى مستوى من الإتقان والضبط والفعالية ليجعل منه حزبا عصريا وطليعيا وأداة تنظيمية ذات الأسلوب الشعبي والهياكل المحكمة المتقنة في نفس الوقت، أداة قادرة على مواجهة تحديات الأعداء والخصوم الطبقيين في كل الواجهات والمجالات والميادين.

العمل التنظيمي والنضال الديمقراطي

إن حزبنا الذي يسعى إلى تأطير نضال الكادحين والتواجد والمساهمة فيه بشكل فعال، قد حدد لمناضليه التوجيه السليم الذي يمارسون وفقه عملهم داخل المنظمات الجماهيرية كإطارات للنضال الديمقراطي العام مع احترام السير الداخلي لتلك المنظمات والالتزام بمبادئ العمل الجماهيري السليم، والذي يعطي فيه المناضل السياسي المثل في الانضباط والتضحية والمبادرة والسلوك النموذجي.

وإذ يجتهد حزبنا في تحسين أساليب عمله الجماهيري وتدقيق خطته النضالية في كل واجهة وإطار، خدمة لمصلحة الجماهير، فإنه لا يتناول الإطارات الجماهيرية بقدسية أو بشكل مثالي طوباوي، بل بوعي كامل أن ميادين النضال الجماهيري هي أيضا وأساسا ميادين للصراع الطبقي بكل أشكاله الاقتصادية والفكرية والسلوكية. إن الإيديولوجية السائدة في مجتمعنا لازالت هي إيديولوجية الطبقة الحاكمة، ولقد دأبت هذه الأخيرة على تخطيط هياكل المجتمع وضرب قيم الكرامة والنزاهة والعلاقات الإنسانية الأخوية بين المواطنين، وغيرها من القيم الشعبية الأصيلة، لتفرض مكانها ظواهر النهب واستبداد القوي بالضعيف والانتهازية والأنانية والجبن والانحطاط الخلقي... وبالتالي فإننا لا ينبغي إن نُفاجأ بمصادفة هذه الظواهر السلبية في مختلف الميادين والمجالات، وباحتمال تسربها داخل حزبنا نفسه باعتباره جزء من المجتمع الذي يسعى إلى تغيير هياكله.

وبالتالي فإن بناء الأداة لا يطرح إحكام الهياكل التنظيمية الحزبية وفق مبادئ المركزية الديمقراطية السليمة وضبط الخطط والممارسة الجماهيرية وحسب، بل يحتم علينا عملا فكريا–تنظيميا مستمرا لحماية كل الظواهر السلبية، فردية كانت أم جماعية، داخل الحزب وخارجه، سواء اتخذت شكل الانحراف التنظيمي مثل التحريفية والبيروقراطية والجمود العقائدي والاتكالية والحلقية والفوضوية والتطرف اليساري، أم في شكل الانحراف السلوكي مثل الانتهازية والتبسيطية والنخبوية والفردية والابتذال والانحطاط الخلقي.

إن حزبنا لا يسعى فقط لأن يكون طليعيا في إيديولوجيته ومواقفه السياسية وخططه، بل يطمح أيضا لأن يكون كل عضو من أعضائه مناضلا اشتراكيا طليعيا يرفع باستمرار من مستواه التكويني ومن اجتهاداته وعطاءاته الفكرية والعملية، ويتحلى أيضا بسلوك نموذجي قوامه الصلابة الإيديولوجية وثبات العقيدة والقناعة، ونكران الذات والتفاني في خدمة الجماهير، والاستقامة واحترام الوعد، والوفاء للمبادئ والنزاهة والتواضع وعدم التعالي على الجماهير (مهما بلغ مستواه وكفاءاته) إلى غير ذلك من القيم والأخلاق الشعبية والاشتراكية.

لقد تمكن حزبنا من إحداث فرز هام في صفوفه، وتقنين القطيعة مع الجماعة التحريفية-الانقلابية لكن مسألة الفرز ليست مسألة جامدة أو مثالية بل هي عملية نقل نوعية ضمن تطور مستمر. كذلك كان الشأن بالنسبة للحركة السلفية عموما، وبالنسبة لحزبنا تحديدا، وسيظل مبدأ الفرز قائما ولن يتغير سوى محك الفرز وموضوعه ومقاييسه، وسيظل مطروحا على حزبنا تنقية صفوفه بشكل إيجابي بالنقد والنقد الذاتي، أو بالالتجاء إلى الحسم مع الانتهازية في التنظيم حسما لا هوادة فيه، في الوقت المناسب بلا تردد ولا تسرع ولا مماطلة.

مواصلة مسيرة البناء

وهذا النهج يدخل تماما في إطار قواعد الأداة الثورية، هذا البناء الذي لايمكن أن يكون بمثابة عملية آلية أو مهمة محددة وفق تصور مسبق جامد ومدة زمنية محددة سلفا، بل هي عملية مستمرة، عملية تطوير وتنوير، وجزء لا يتجزأ من الصراع الطبقي بين قوى التغيير والتقدم من جهة، والقوى المحافظة الرجعية وتأثيراتها في كافة المجالات ومن مختلف المواقع، من جهة ثانية. وبالتالي فإنها ذات طابع شمولي تتداخل فيه محاور عدة منها توضيح وإغناء الخط الإيديولوجي، وضبط المواقف السياسية طرحا وممارسة، وإحكام التنظيم ومختلف الهيئات الحزبية، وتوسيع نطاق النضال الجماهيري بأقصى مرونة وفعالية ومواصلة الفرز والتنقية المستمرة لصفوف الحزب، والرفع من مستوى عطاءاته الفكرية والعلمية. وهنا أيضا نجد التماسك والترابط الجدلي في الاختيارات الأساسية لحزب الطليعة، إيديولوجيا واستراتيجيا وسياسيا وتنظيميا ...

إننا بإلقاء نظرة خاطفة على مسيرة حزبنا النضالية منذ تأسيسه، بنكساتها ومكاسبها، لا يمكن إلا أن يغمرنا الاعتزاز والفخر بهذا التراث المشرق الذي كتبه شهداءنا بدمائهم وكافة المناضلين بتضحياتهم الجسام، ولا يمكن إلا أن تترسخ لدينا الثقة والتفاؤل الثوري بمستقبل حزبنا وبدوره في أداء رسالته التاريخية كأداة كفاحية، طليعة الجماهير الشعبية وخادمتها. لقد قطع حزبنا أشواطا هامة على طريق بناء نفسه بناءا ثوريا، خاصة بعد الحسم النهائي مع الجماعة التحريفية–الانقلابية. إنه يتميز اليوم بإشعاع إعلامي محترم ومشرف،

وحضور نضالي هام في مجمل الواجهات الأساسية، وهياكل تنظيمية سائرة نحو مزيد من الضبط وفق المبادئ التنظيمية الصحيحة، وبالتالي فإن كل الظروف الموضوعية والذاتية تؤهله لكي يكون فعلا أداة ثورية طليعية، أداة تجسد الاشتراكية العلمية تجسيدا ماديا، وتساهم في تأطير الكفاح من أجل التحرير والديمقراطية والاشتراكية.

إلا أن هذا التحول ليس بعملية حتمية عفوية، بل هي عملية إرادية بالدرجة الأولى، تقع مسؤولية إنجازها على عاتق كل عضو من أعضاء الحزب أيا كان موقعه أو مسؤوليته. إنها مسؤولية تاريخية، مسؤولية مواصلة المسيرة والوفاء لأرواح الشهداء، ولطموحات طبقتنا العاملة وشعبنا، وللمصالح العليا لوطننا.

انتهى

20 غشت 1993

الطريق من 09 إلى 15 أكتوبر 1993 العدد 203

الطريق من 16 إلى 22 أكتوبر 1993 العدد 204

الطريق من 23 إلى 29 أكتوبر 1993 العدد 205